الصّورة العقلية

في كتاب (خطرة الطيف رحلات في المغرب والأندلس)؛للكاتب لسان الدين ابن الخطيب(٧١٣ه-٧٧٦ه)

م. علي رافع عباس عبد الحسن الكِندي

أ.د. محمد حسين عبد الله المهداوي

الملخّص:

أن جهود الأديب لسان الدين ابن الخطيب المميز ذاك، وإبداعه النثري والشعري من ناحية أخرى؛ لعلهما ذخيرتان في دراسة هذا الموضوع الجديد، فضلاً عن أن لسان الدين ابن الخطيب لم يحظ بدراسات موسعة في مجال الصّورة العقليّة ،على الرغم من استحواذه مقومات فنية مثمرة تؤمن له وجوداً حياً ثقافياً ،وذلك بسبب اهتمام الدراسات الادبية غالباً بأسماء معينة دون غيرها، مما أوهن تراثنا الأدبي العربي على الرغم من ثروته بالكثير من التحف، كما أن كتاب لسان الدين ابن الخطيب خطرة الطيف ،قد حفل بالتصوير الابداعي،وهذا ما لمسناه بشكل أساسي في ادبه؛ ولاسيما ما وجدناه من صورٍ عقليّة قد نهلَ الاديب لسان الدين ابن الخطيب ،ولوّن نصوصه فيها ؛ليجعل منها مشاهد عبقةً حسنةَ المنظرِ في ذهن المتلقي لما شاهده خلال رحلته.

Summary:

Perhaps the efforts of the writer Lisan al-Din Ibn al-Khatib, the distinguished, and his prose and poetic creation on the other hand; Perhaps they are ample resources in studying this new subject, in addition to the fact that Lisan al-Din Ibn al-Khatib did not receive extensive studies in the field of mental image, despite his possession of fruitful artistic elements that would secure a lively cultural existence for him, due to the literary studies' interest often in certain names without others, which weakened them. Our Arab literary heritage, despite its wealth in many artifacts, and the book of Lisan Al-Din Ibn Al-Khatib Khatrah Al-Tayf, has been full of creative photography, and this is what we touched mainly in his literature; Especially what we found of mental images, the writer Lisan al-Din Ibn al-Khatib was drawn, and he colored his texts in them;

المقدِّمة

"الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، سيدنا محمد وعلى اله وصحبه ومن سار على دربِه الى يوم الدين، وبعد:

تعد الصورة الفنية السمة الأولى الجمالية الإبداع لدى الاديب، وقد عُنيت الصورة الفنية بعناية الدارسين والنقاد من المحدثين، لأنها أضحت منذ مطلع العصر الحديث خصلة الشعراء والأدباء ولا نعول بأن القدماء من الدراسين لم يعطوها الاهتمام بل قد تكون بغير مسميات.

فأشعلتُ شرارة البحث في دراسةِ (الصّورة العقليّة) وما جاء منها في كتاب خطرة الطيف للأديب لسان الدين ابن الخطيب ليلهم القارئ بتلك الصّور الذهنيّة التي تدرك بالفطنة والعقل وجاء ذلك في محورين التمهيد والتطبيق في الكتاب، وبعد ذلك ننتهي الى الخاتمة والنتائج المستخلصة من دراستنا وقائمة بالمصادر والمراجع المهمة التي وظّفتها في بحثي وكانت العون في سبري بحثي، وما وفقنا الله فيه

التمهيد

اولاً:الصورة العقلية

الصّورة العقلية يبرز فيها الفكر أكثر من الخيال وهي التي تكون موضوعاتها مستمدة من الموضوعات العقلية المجردة فهي نتيجة لعمل الذهن الانسيابي في تأثيره بالعمل الفني وفهمه[١]؛لأنها تخترق الحدود المرئية لتبلغ عمق الأشياء فتكشف عما تعجز عنه الحواس[٢].

وقد بيّن مفدي زكريا ان الصورة العقلية :"هي نوع من الصور الشعرية المتمثلة في الصورة العقلية التي تعتمد بالدرجة الأولى على العقل، وتستمد موضوعاتها منه، فالعقل هنا هو الذي يشتغل ويسيطر على جموح الحواس "[٣].

"ويذهب بعض الباحثين الى تقسيم الصورة العقلية الى صورة تجريدية وأخرى لفظية، إذ ترتبط الصورة التجريدية بالمعاني الذهنية ويتم ذلك اما بعقد مماثلة او مقابلة بين معنيين عقليين لا حسيين، واما بإضفاء صفات معنوية على المحسوسات حيث تنهار الفوارق فيها بين ما هو حسي وما هو مادي فيتحول الحسي الى معنى.

اما النمط الثاني من الصورة العقلية فهي الصور اللفظية التي لا تمتلك لو نظر اليها معزولة عن سياقها أي قيمة تعبيرية وانما تعتمد على تلاعب لفظي التملح او الغرابة "[٤].

كذلك يقول عبد الرزاق بالغيث: "الصورة الشعرية العقلية التي تكون عناصرها مستمدة من الموضوعات العقلية المجردة "[٥].

هذا يعني ان الصورة المجردة عكس الصورة الحسية فالأولى نابعة من العقل والثانية نابعة من الحواس لكن وعلى الرغم من ذلك لا تخلوا الصورة المجردة من بعض خيوط الحس لأنه لابد للشاعر ان ينقل حواسه ولو بطريقة خفيفة تخدم الصورة العقلية، كما انه يوظف العقل في الصورة الحسية ولكن بشكل ضعيف ومهمش كما ان الصورة العقلية تستلزم جهد من المتلقي [٦].

ويقول خليل دعوش :"الصورة العقلية تحتاج من المتلقي نوعاً من الفطنة واتساعاً ذهنياً لفهم حقيقة الصورة الشعرية التي يوظفها الشاعر في ثنايا قصائده لأنها تحمل رؤية "[٧].

ومن هنا نرى ان للصورة الشعرية العقلية خواصاً تختلف بها عن الصورة الحسية إذ نجدها توظف العقل في توطين العبارات في مكامنها وهي بهذا تحتاج الى عمق في التفكير لمعرفة مكنونات الاديب.

ثانياً: التطبيق

وبذلك نجد ابن الخطيب يوظّف الصور العقلية في مكامن كتاباته ذات تداخلات بالغة التأثير في القارئ وهو يوظف العقل في بعض الصور التي نقلها لنا قائلا :

"الذي جعل الأرض ذلولا نمشي في مناكبها، ونأكل من رزقه"[٨]

فقد اقتبس من القران الكريم بعض كتاباته توظيفا عقليا اقتبس ذلول الأرض أي تحت طوع الانسان ليمشي عليها فالتوظيف جاء عقليا هذه الصورة.

وبرع الاديب لسان الدين ابن الخطيب في الاقتباس مرة أخرى في هذه الصورة العقلية عندما وظفها في كتاباته النثرية قائلا : "الحمد لله الذي ان هداها بعد ان تبيت يداها فجف من فتنتها ما نبع وانقادت الى الحق والحق أحق ان ينتع "[٩]

وهنا الصورة عقلية حيث وظف كل مكونات العقلية ليصل الينا هذه الصورة المقتبسة من ذكر الله عز وجل.

أبدع الاديب في تصوير ابياته الشعرية عندما وظف لها صورا عقلية تحاكي عقل القارئ وتجعله ينسجم مع القول:

قالوا وقد عظمت مبرة خالد قاري الضيوف بطارف وبتالد

ماذا اتمت به فجئت بحجة قطفت بكل مجادل ومجالد

ان يفترق نسب يؤلف بيننا أدب اقمناه مقام الوالد [١٠]

يعمل الاديب على توظيف الصورة العقلية التي تحاكي العقل وتداعب الذهن إذ قال وعظموا القاضي العظيم الذي يحاكي الضيوف ويتعرف عليهم وأوضح لنا كيف كانت المحاكاة بينه وبين القاضي ويوضح في البيت الأخير بصورة عقلية بقوله ان يفترق نسب حيث يعبر حتى وان كنا غير مقربين في النسب فهناك نقطة نتألف بها وهي نقطة مشتركة بينهم وهي الادب موضحا لنا هذه الفكرة بعقل رصين وعبارات مرصوصة ومعبرة عن الواقع الذي عاشه.

اخذ لسان الدين ابن الخطيب في توظيف العبارات بصور عقلية رائعة وفيها من المعاني الوافرة قائلا :

"عقيلة الشمس معتذرة مغبيها مغتمة غفلة رقيبها "[١١].

يوضح إلينا بتصور عقلي معبر وهو يصور طلوع الشمس بعد ان كانت مقيدة ومراقبة من قبل الغيوم منتهزه فرصة اغفال تلك الغيوم عنها لتظهر وتشق طريقا لنورها الوهاج معتذرة لما حدث فهنا رسم لنا صورة معبرة عن جمال الطبيعة وشروق الشمس بعد مغبيها وحجب نورها من قبل الغيوم.

عاد الاديب وهو يوظف إلينا ما حدث عندما اجتازوا الطرق الوعرة برفقة دليلهم قائلا:

"وسلما حرج الدرج، سامي المنعرج، تزلق الذر في حافاته وتراع القلوب لتوقع آفاته، ويتمثل الصراط عند صفاته عار لا تتخلص منها الاوعال ولا تغني السنابك فيها ولا النعال "[١٢].

وهو يصف حالهم عند صعودهم على سلم حرج وعالٍ وهو متعرج صعب الصعود فتخفق القلوب وينتابهم الخوف عند الصعود فيوظف الصورة العقلية وهي العبور على الصراط بحالتهم التي يمرون بها فجعلهم هذا الطريق يتذكرون اهوال يوم القيامة وكيف العبور على الصراط فضلاً عن الى ذلك نرى الشاعر قد جمع بين الصورة العقلية والصورة الحسية البصرية حيث يصف السلم وان الاوعال وهي الحيوانات التي تتسلق الجبال لا تستطيع السير عليه ولا سنابك البغال تتمكن من الصعود على ذلك السلم وهنا نراه قد جمع بين الصورتين العقلية والبصرية لنقل المصاعب التي تحملوها في تلك الرحلة .

لما في ذلك السلم من صعوبة ووعورة تحبس أنفاسهم وبهذا الوصف أراد الشاعر ان يوصل لنا هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر بصورة عقلية مسبوكة وجميلة.

وبعد ذلك يوضح إلينا بعد نزولهم وسيرهم على الأرض المنبسطة الخالية من الاخطار عندما تخالطت أفكاره وبين لنا صورة عقلية وهي تذكيرهم بيوم القيامة وعبور الصراط وما الذي يحدث لهم في ذلك اليوم فقد اعطى فرصة للعقل ليجمع بين ما حدث لهم وما يحدث في يوم القيامة والعبور على الصراط قائلا :

"إذا استوينا على صفحة الأرض، وتذكرنا بذلك الصراط يوم العرض "[١٣].

وهنا يوضح إلينا لحظة الوداع والفراق وهو يوظف العقل دون الحواس الأخرى قائلا:

ومضى وخلف في فؤادي لوعة تركته موقوتا على اوجاعه

لم استتم سلامة لقدومه حتى ابتدأت عناقه لوداعه [١٤]

إذ عبّر عن لحظات الوداع وما في قلبه من لوعة الفراق والم الجوى وقصر الوقت اذ انه لم يكمل التحميد بسلامة قدومهم حتى أتت لحظة الفراق والوداع ممزوجة بلحظة ملؤها الالم الا وهو عناق الوداع نراه وصف وعبر بشجي وحرقة عما في داخله بصورة عقلية تشد المتلقي.

سلط الكاتب في هذه الصورة العقلية ما تمتاز به مدينة (مالقة) من اثار علمية وكل إنجازات تلك المدينة وما تمتلك من مدخرات علمية لتبقى ارث لتلك المدينة قائلا:

"فاستشهد مغرب البيان وتاريخ ابن حيان وتاريخ الزمان، وكتاب ابن الفرضي وابن بشكوال وصلة ابن الزبير القاضي وما اشتملت عليه من الرجال، وصلت ابن الابار وتاريخ ابن عسكر، وما فيه من اخبار "[١٥].

يوظف إلينا الصورة العقلية في نقل وتوضيح الإنجازات التي تمتاز بها تلك المدينة.

فقد ووضع إلينا الاديب صورة عقلية رائعة حينما قال:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء ان تعد معايبه [١٦]

إذ رتب إلينا صورة عقلية مدروسة بجد وذات معاني رصينة يستجمعها الشاعر في هذا البيت الشعري حيث يعول بالقول ان كل ما يتصرفه المرء على سجيته يرضي الجميع فيكفي ان يعدوا عليه معايبه وهنا رسم لنا صورة في خصال المرء الحسنة والسيئة.

وأخذ الأديب ينقل إلينا الصور العقلية وهو يصف من ينقل الاخبار ويصقل الحكم وينقل كل انباء السمر وهو ينقيها ويرتبها وكذلك يخلد لنا الاثار قائلا:

"وبحسب ذلك حدث من يعنى بالأخبار ينقلها والحكم يسقلها والاسمار ينتقيها والاثار يخلدها ويبقيها "[١٧].

إذ عبر ان لكل خبر هناك من ينقله ومن الحكم ما تصقل وتهذب لتنقل بطريقة جميلة لتخبر بأحوال تلك المدن والاثار يخلدها ويبقيها فهنا الصورة يوظفها توظيفا يحاكي بها العقل دون ان يحاكي الحواس الأخرى.

عبر الكاتب عن الصورة العقلية بتوظيف العقل أكثر من توظيفها الحواس الأخرى قائلا:

اجارتنا انا غريبان ها هنا وكل غريب للغريب نسيب[١٨]

فقد كان الكلام يتسم بسمة الرصانة ذات المعاني الرتيبة التي تحتاج الى العقل والمنطق فقد عبر عن الغربة التي يعيشونها في تلك البلاد وكيف تتحول الى علاقة اشبه بالقرابة نسبة الى الكلام الذي يدور بينهم والأحاديث التي يتبادلونها معا.

لقد كانت الصورة هنا عقيلة ذات ابداع لدن المتكلم قائلا: "فاتحة الكتاب من مصحف ذلك الإقليم "[١٩].

إذ شبه الإقليم بالمصحف وجبل الفتح بفاتحة الكتاب لما فيها من جمال الطبيعة ومدن تسر الناظرين فقد أعطاها هذه المنزلة القيمة التي استخدمها بعقلية واعية ومنطق مهذب ورصين. وقال الاديب أيضا :"ماذا أقول في الدرة الوسيطة فردوس البسيطة "[٢٠].

فقد وصف إلينا (مالقة) وشبهها بالدرة وذلك لما تمتلك من جمال الطبيعة والمكان الذي يلفت الأنظار كما تلفت الأنظار الدرة الوسيطة لوضوحها وكبر حجمها وجمالها فقد وصف لنا كل هذا بصورة عقلية رصينة وكذلك أيضا وضف العقل في تشبيهها كأنها الفردوس أي لجمال طبيعتها الخلابة التي تسلب الب والانهار التي فيها فقد شببها تشبيه عقلي واضح لا يحتاج الى تعمق في المعاني.

ان الصور العقلية تكون نابعة من واقع استشعار الكاتب لينقله الى المتلقي بإحساس مترف فقد نقل إلينا قائلا: "اطعام الجائع والمساهمة في الفجائع، واي خلق أسري من استخلاص الاسرى "[٢١].

فقد نقل عن تلك المدينة انها تساهم بإطعام الجائع أي دلالة على كرمها وإعطاء كل من يطلب منها وأيضا تساهم كل من كان لديه فجيعة وأيضا تعمل على انقاذ الاسرى فهذه صور عقلية من واقع الحال الذي راءه وعاشه في تلك المدينة يسده لنا بواقعية معاشه.

نسج إلينا الاديب بيتا من الشعر موظفا فيه قصة الزبرقان ابن بدر توظيفا عقليا تجريديا فيها الكثير من المعاني التي تحاكي العقل مباشرة وفيها من العبر الكثير قائلا:

تقول هذا مجاج النحل تمدحه وان ذممت قل قيء الزنابير
مدح وذم وعين الشيء واحدة ان البيان يثرى الظلماء في النور[٢٢]

فقد وضح إلينا كيف ان الانسان يستطيع ان يوظف العبارات ان أراد بها مدح او ذم فأعطى مثالا ان أراد مدح العسل قال مجاج نحل وإذا أراد ذمها قال قيء الزنابير أي ان الانسان إذا أراد ان يمدح شيء يوظف له أجمل العبارات حتى وان كان سيء وإذا أراد ان يذم شخص يوظف له أتعس العبارات فلأنسان يختار ما يريد فالشيء الجيد يرى بوضوح في بالعتمة كوضوح الشمس في النهار فأحيانا يكون الشيء جيد لكن الشخص لا يتقبله فيذمه ليتخلص منه فهنا الصورة العقلية واضحة ومرتبه .ووضح إلينا صورة عقلية يحاكي بها العقل قائلا: "الا التشاجر بها انمى من الشجر والقلوب أقسى من الحجر " [٢٣]

فقد وصف إلينا اهل تلك المدينة وانهم يمتازون بالشجار الدائم بينهم وشببها بنه ينمو كما ينمو الشجر وهذه دلالة لكثرته وأيضا نعت قلوبهم بانها قاسية وشبهها بالحجر القاسي فوظف لنا العقل لنقل تلك الصور.

لقد سرد إلينا الشيخ موضحا صورة عقلية تمتاز بالحكمة فقال عندما طلب منه وصف مدينة بيرة للشاعر تميم الفاطمي قائلا :

ما قام خيرك يا زمان بشره أولى لنا ما قل منك وما كفى [٢٤]

إذ تجلت الصورة العقلية واضحة وفيها الكثير من المعاني وهو يخاطب الزمن ويشكو من قسوته وانه يعطي لمن لا يستحق وحتى وان اعطى يوما او طاب يوما يقسوا أياما ويقول له افعل ما شئت لا يهمني تعودت على تلك القسوة فلا يهمني صفاؤك ولا جفاؤك وهذه حكم ينقلها الشاعر إلينا.

ورمى شبكة كلماته على المتلقي بصورة عقلية وهو يصف (برشانه) قائلا :"حليمها يشقى بالسفيه ومحياها تكمن حيه الجور فيه "[٢٥].

فهو يقول ان الحليم يتعب من السفيه الذي لا يعرف شيء ويتصرف بتصرفات تؤذي الحليم العاقل الواعي المتفهم وكذلك الناس فهي تظهر خلاف ما تبطن عند ملاقاتها والتكلم مها فوظف لنا العقل لرسم تلك الصورة. وذكر إلينا المبدع بيتا من الشعر عبر به عن صورة عقلية تثير اذهان القارئ قائلا:

في بلدة عودت نفسي بها اذ في اسمها طه وياسين

الجاني الدهر الى عالم يؤخذ منه العلم والدين [٢٦]

أراد الكاتب ان يوصل إلينا صورة عقلية بليغة عن البلدة التي سكن فيها حيث يكثر فيها اسم الله وذكر القران الكريم وهي دلالة على انها ذات طابع ديني، وقد وضعت في مكان فيه يأخذ العلم والدين وهذا صور عقلية ممزوجة برتابة الكلمات واصالة الحروف. حمل إلينا الاديب قائلا: "سكانها ضعيف يشكو من قوي "[٢٧].

أي ان الضعيف فيها مسلوب الحق من القوي وذلك لان القوي مسيطر على الضعيف وسالب حقوقه ومستحقاته فقد صور إلينا بصورة عقلية تحاكي العقل والمنطق.

خاض الاديب لسان الدين ابن الخطيب في توظيف الصورة العقلية لمدينة (وادي آش) في قوله: "للناس ما ظهر ولله ما بطن "[٢٨].

أي ان ناسها يظهرون خلاف ما يبطنون فالله اعلم بكل انسان وما في داخله من مكنونات فوظف الصورة العقلية ليعبر عن طبائع الساكنين في وادي آش.

سار إلينا الكاتب في طريق الكلمات واخذ منها ما عبر عن الصورة العقلية عندما وصف لنا مدينة (فنيالة) قائلا:

"الا ان بردها كثير ، وودقها نثير، وشرارها لهم في خيارها تأثير"[٢٩]. فقد وضح إلينا الاديب خصائص هذه المدينة بان بردها كثير ان انها منطقة باردة وأيضا مطرها قليل لي بغزير وان اشرار تلك المنطق لهم القدرة في التأثير على اخيار تلك المدينة فقد رسم لنا الصورة العقلية بسلاسة ووضوح.

وأورد في حديث الاديب عن مدينة (لحمة) :"لكن مزارعها لا ترويها الجداول ولا يجدها الا الجود المزاول، فان أخصب العام اعيا الطعام، وان اخلف الانعام، هلكت الناس والانعام "[٣٠].

استرسل إلينا الكاتب في وصف أحوال تلك المنطقة موظفا الصورة العقلية بوضوح حيث عبر بان مزارعها لا تروي بها الجداول وانما تروى بالمطر الموسمي الذي ينزل من السماء فان أخصب العام كان الزرع جيدا احيا الطعام واكلوا وان قل وشحة نعم الله عليهم هلك الناس والانعام أي الحيوانات وهذه صورة عقلية مركبة تركيبا جميلا ومحبوكا.

نرى الاديب قد سرد القول عن مدينة (قرطمة) قائلا: "أهلها في الشدائد لا يجزون، أيديهم في البخل مغلولة، وسيوف تشاجرهم مسلولة"[٣١].

حيث يصف إلينا حال اهل تلك المدينة بأنهم لا يقفون مع بعضهم في الشدائد ولا يدافع بعضهم عن بعض ونعتهم بالبخلاء ولا يعطون من سألهم وأيضا انهم كثيرو الشجار وسيوفهم متهيئة دائما للمعارك والتناحر فيما بينهم وبذا فقد نقل إلينا أحوال تلك المدينة بصورة عقلية متيسرة.

عبر الاديب عن المدح لابن الخطيب بكلمات اردفها بمعاني عقلية ذات ابعاد فيها الكثير من المعاني الرصينة والاقوال التي تؤنس القارئ قائلا: "وقم في ضمان من وقاية الرحمان فلعمري وما عمري عليه بهين، والحلف علية بمتعين لو كان الجود ثمرا لكنت لبابه، وعمرا لكنت شبابه، ومنزلا لكنت بابه "[٣٢].

عندما كانت نهاية اللقاء قد اقتربت واوشكت لحظات ذلك اللقاء ان تنتهي فما كان من الاديب الا ان يعبر عن مشاعره وإحساسية اتجاه ابن الخطيب حيث يحلف عليه بعمره وان ليس بهين عليه ان يحلف به الا صادقا اخذ يطرز كلماته بالمديح وقد وصفه بانه لباب الجود لما رأى منه الكرم والعطاء واخلاق تجذب من يجالسه او عمرا فهنا اختار اجمل المراحل التي يمر بها الانسان ليصوفه بها وهذه

دلالـه علـى حسـن أخلاقـه، وأيضـا نـراه يصـفه بـاب المنـزل وهـذه دلالـه علـى انـه فـي المقدمـة لمـا يمتلـك مـن طيب الكلام وحسن المجاورة وهذه صورة عقلية رسمت بريشة فنان تناغي العقل وتطرب القارئ .

تجلـت الصـورة العقليـة بمـا نقـل إلينـا ابـن الخطيـب مـن الاعمـال التـي يقـوم بهـا هـذ الشـيخ مـن الشـعوذة والسـحر حيـث ينقلهـا لنـا بصـورة واقعيـة صـريحة تحـاكي العقـل البشـري فقـد سـرد إلينـا قولـه: "ومـذهب المـس وطـارد العمـار. انـا قـاطع الـدماء إذا نزفـت، وكاشـف الغمـاء إذا مـا انكشـفت اهنـا الإبـل فـلا تجـرب، وأخـط حـول الحمـى فـلا تـدنو السـباع ولا تقـرب، وأدخـن بهـا فـلا تتسـلل الحيـة ولا تـدب العقـرب ان نعيت الشمس لوقت محدود طمس فيها نورها"[٣٣].

يصـف الاعمـال التـي يقـوم بهـا مـن اخـراج المـس وطـرد الجـن مـن البيـوت وقـاطع الـدماء وكاشـف الغـم والهـم والحـزن واسـوار الحمـى فـلا تـدنو لهـا السـباع وابعـد الحيايـا والعقـارب هنـا يحـاول ان يوصـل الصورة للمتلقي ،فالمبدع يرسل للذهن كلاماً يوضح فيه شعوذة ذلك الشيخ وما يقوم به من اعمال.

انشـد الاديـب لسـان الـدين ابـن الخطيـب ابيـات مـن الشـعر كتبهـا بصـورة عقليـة يوضـح فيهـا ويصـف شخصيته التي يتمتع بها لينقلها الى السامع قائلا :

إذا المشكلات تصدين لي كشفت غوامضها بالنظر
ولست بإمعة الرجال اسائل هذا وذا الخبر
ولكنني ذرب الاصغرين ابين مع ما مضى وما غبر[٣٤]

يوضـح الكاتـب هنـا حالـه وكيـف يواجـه المشـاكل وانـه قـادر ان يحلهـا بمجـرد النظـر لهـا ويوضـح ذلـك بدلالـة ورتابـة عقليـة ذات ابعـاد عاليـة المسـتوى وثقـة بـالنفس عاليـة وأيضـا يوضـح بانـه لـيس مـن الرجـال الـذين يسـألون عـن الاخبـار ومـا الـذي يحـدث وكيـف وانـا املـك لسـان فيصـيح أسـتطيع ان اعبـر عمـا شـئت به بإمكانيتي التي امتلكها وهذا وصف تتوجه الصورة العقلية بأبداع وسلاسة.

ونـرى الكاتـب يصـف إلينـا مدينـة (ازمـور) بأوصـاف ذات معـاني عقليـة قـائلا :"لكـن أهلـه انمـا حـرثهم وحصـادهم اقتصـادهم فـلا يعرفـون ارضـاخا، ولا وردا نضـاخا، يترامـون علـى حبـة الخـردل بالجنـدل، ويتضـاربون علـى الاثمـان الزيـوف بالسـيوف. بربـري لسـانهم كثيـر حسـانهم، قليـل احسـانهم، يكثر بينهم بالعرض الافتخار، ويعدم في بلدهم الماء والملح والفخار "[٣٥].

بـان اهـل تلـك البلـدة معتـدين بأنفسـهم ولا يرضـخون لاحـد ولا حتـى فـي تعـاملاتهم وهـم كثيـرو العـراك علـى ابسـط الأشـياء وجـاءت يترامـون بالجنـدل علـى الخـردل أي يترامـون بالجنـدل وهـو حجـر عظـيم يوجـد فـي مجـرى النهـر وأيضـا تكثـر عنـدهم المعـارك حيـث يسـلون سـيوفهم علـى الأمـوال الزائفـة والنقـود الرديئـة التـي لـيس فيهـا قيمـة وأيضـا يصـفون بـان السـنتهم سـليطة وهـم يقلـون فـي الاحسـان ويكثـرون التفـاخر فيمـا بيـنهم وهـذه صـور عقليـة توضـح للمتلقـي الصـفات التـي تمتـاز بهـا اهـل تلـك المدينـة . عبـر الاديب عن مدينة (رباط آسفي) قائلا:

"لطـف خفـي، وجنـاب حفـي، ووعـد وفـي ودين ظـاهره مـالكي، وباطنـه حنفـي، الدماثـة والجمـال، والصـبر والاحتمـال والزهـد بالمـال، والسـذاجة والجـلال، قليلـة الاحـزان، صـابرة علـى الاختـزان، وافيـه المكيال والميزان رافعة الواء، بصحة الهواء "[٣٦].

تنـاثر عبيـر وصـف ذلـك الاديـب لهـذه المدينـة بأسـلوب عقلـي ورصـانة وتمعـن فـي اختيـار الكلمـات فقـد وصـفها بانهـا تمتـاز باللطافـة الخفيـة وانهـا تمتـاز بحفـاوة الاسـتقبال وانهـم يوفـون بوعـودهم لمـن عاهـدوا ويـرى الاديـب لسـان الـدين ابـن الخطيـب بـان دينـهم مـالكي يعـود الـى مالـك بـن انـس فـي الظـاهر ولكـن باطنـة حنفـي يمتـازون بـالين والسلاسـة والسـهولة وأيضـا يمتـازون بالصـبر علـى الشـدائد ويزهـدون بمـا لـديهم مـن الأمـوال وأيضـا يمتـازون بـانهم مسـالمين وبسـيطين واحـزانهم قليلـة وانهـم يصـبرون علـى الاختـزان أي الادخـار وانهـم يوفـون الميـزان والمكيـال واعلامهـم مرفوعـة دائمـا فهـذه كلهـا صـور عقليـة واضحة ليس فيها خيال وانما تحاكي العقل.

جاء الصورة العقلية فيما عبر عنه الكاتب واعرض في ابيات شعرية فيها الكثير من الحكم قائلا:

خذ من زمانك ما تيسر واترك بجهدك ما تعسر
ولرب مجمل حالة ترضى بها مالم يفسر
والدهر ليس بدائم لابد ان سيسوء ان سر
واكتم حديثك جاهدا شمت المحدث او تعسر[٣٧]

فقد تراه قدم لابن الخطيب نصائح يأخذها عبرة لزمانه حيث عبر قائلا خذ من زمانك ما تراه ميسر واترك ما هو معسر فليس فيه اليك نصيب ولله كل ما هو موجود فهو مالك كل شيء وان الدهر لا يدوم لاحد فمن مسرورا لابد وان يأتي يوم ويحزن وابذل جهدك في ان تجعل حديثك مكتوم أي اكتم ما تعمل وأكثر من الصمت ولا تكترث لمن يشمت بك او يتعسر وهذه حكم مرسومة بريشة فنان رسم الكلمات بعناية وفطنة عالية لابد للإنسان ان يأخذ بها ويعتبر منها.

وأيضا اهل علينا بالكثير من الحكم والمعاني التي جاءت في الابيات التي ذكرها الاديب قائلاً:

لا تعدم التقوى فمن عدم التقوى في الناس اعسر
وإذا أمرؤ خسر الاله فليس خلق منه اخسر[٣٨]

أوضح إلينا بصورة عقلية ان التقوى في الناس موجودة فلا تجعلها معدومة لان ذلك يعسر عليك الكثير من الأمور التي تفعلها واياك وان تخسر ربك فمن خسر الاله ليس من أحد أكثر منه خسارة فخسارة الباري من الخسائر التي لا يمكن ان تعوض فلابد للإنسان أن يتقي الله في كل اموره وهذه بصمات عقلية يوصي بها الشيخ لا بن الخطيب.

لقد عبر الكاتب عن الصورة العقلية بكل رصانة عقل وفصاحة قائلا: "والدهر مطيع سميع الا زيارتك في جبلك الذي يعصم من الطوفان، ويواصل امنه بين النوم والاجفان "[٣٩].

حيث اوصف الزمن بانه مطيع سميع وعبر عن زيارته لجبل هنتاتة بوصف تلك الزيارة بمثابة الجبل الذي يعصم من الطوفان وهنا نرى الاقتباس واضح من القران الكريم فهذه صورة عقلية واضحة وأيضا نراه يوصف إلينا مدى الأمان الذي استشعروا وهم في ذلك الجبل حيث نراه يعبر بان النوم يسير الى العيون بكل طمأنينة وهدوء في ذلك الجبل لما يشعرون به من الأمان والراحة.

جاءت الصورة العقلية في وصف الملك قائلا: "وتمكن من تربته من يقصد الشفاء ،وكحل العيون المرهى ،اذ كان رحمه الله اخر ملوك العدل نشأة ،لم تعرف الخبائث ،ولا اثرت الملاذ مغنيا في بر والدية مصرفا في استنساخ الذكر الحكيم يمنى يديه ،محافظا على الصلاة قيوما عليها بالليل ،كثير الصدق والصوم ،مجالسا للعلماء ،مستكشفا أحوال الرعية "[٤٠].

عبر في هذه الصورة عن وصف الملك وان تربته فيها الشفاء لمن يقصده ووصفه بانه اخر ملوك العدل في ذلك الوقت ولا يعترف بالخبائث ولم يؤثر عليه منصبة في بر والدية فقد كان من الملوك البارين بوالديهم وعمل أيضا على استنساخ الذكر الحكيم وكان من المحافظين على صلاتهم وبهذا فقد نقل إلينا ابن الخطيب صفات ذلك الملك بصورة عقلية ذات ابعاد مفهومة وواقعية. ونرى الكاتب يعبر عن الصورة العقلية في ابياته الشعرية قائلا :

إذا غدا الطيب يجري في مفارقهم راحوا كأنهم مرضى من الكرم [٤١]

إذا وضح ان الطيب الذي يقدمونه للناس كاد ان يكون وسيلة للفراق حيث انهم على قدر الكرم الذي يقدمونه للناس يكون الفراق هو مصيرهم وهذه المسالة ذكرّت الاديب بذكرى وفاة ملك هنتاته الذي وافاه الاجل وهم في ضيافته وهذه صورة عقلية واضحة. وعبر عن الصورة العقلية عندما زار محل وفاة السلطان امير المسلمين قائلا:

يا حسنها من أربع وديار أضحت لباغي الامن دار قرار
وجبال عز لا تذل انوفها الا العز الواحد القهار

ومقر توحيد واس خلافة اثارها تنبي عن الاخبار[٤٢]

حيث وضف بكلمات باسقة المعاني صور عقلية تبين مكانة الشاعر فيقول ما أجملها من ارض وما أفضلها من ديار أصبحت لحافظ الامن وباغية محل قرار ومكان وفاته وقد شبه هذا الملك كأنه الجبل الشامخ الذي لا يذل ولا يخضع الا لعز الواحد القهار أي الى الله سبحانه وتعالى حيث شبه بالشجرة الدائمة الخضرة ازهارها بيضاء واثمارها لينة وقد شبه الملك بهذه النبتة لما فيه من اخلاق عالية وما قد بقيت من أثاره تنبئ عن اعماله التي ابقاها وهذه صور عقلية ذات ابعاد راقية. وأيضا يستمر في وصف الملك قائلا:

ورثا عن الندب الكبير ابيهما محض الوفاء ورفعة المقدار
وكذا الفروع تطول وهي شيبة بالأصل في ورق وفي اثماري [٤٣]

معبرا ان الملك اورث من ابيه الكبير الوفاء والرفعة في القدر وقد شبههم بالشجرة والفروع التي تخرج شبيه لأصولها في كل شيء وهذا هو حال هذا الملك حيث ورث جميع الخصال الحسنة من ابيه وهو بهذا يعبر عن صورة عقلية ذات ابعاد مدروسة. نرى الكاتب قد عبر عن الصورة العقلية في ابياته الشعرية التي قالها عند زيارة قبر المعتمد على الله ابي قاسم بن عباد قائلا:

قد زرت قبرك عن طوع بأغمات رأيت ذلك أولى المهمات
لم لا ازورك يا أندى الملوك يدا ويا سراج الليالي المدلهمات
وانت مولى تخطى الدهر مصرعه الى حياتي اجادت فيه ابياتي
اناف قبرك في هضب يميزه فتنتحيه حفيات التحيات [٤٤]

وهو يبدع في ارتشاف الكلمات من زهور اللغة العربية بصورة عقلية تنساب على العقل وتوعز بجمال الكلمات التي تدخل الاذهان لتفتحها واصفا حاله بانه زار قبر الملك طوعا بإرادته دون أي ضغط عليه حيث وجدها أولى المهمات التي يجب عليه القيام بها قائلا لما لا ازورك وانت اكثر الملوك عطاء اندى الملوك يدا صاحب اليد الندية بالعطاء وانت ذلك الضوء في الليالي الظلماء الخالية من الضوء وان علو قبرك هو الذي يميزه ويغمر كل من اتى لزيارته بالتحيات وكل هذه صور عقلية معبرة عن مدح الخطيب للمعتد بالله كتبها بأسلوب سلس ومعاني مستساغة ورصينة .جاء التعبير عن الصورة العقلية في البيت الشعري الذي قاله ابن الخطيب:

وكل أخ مفارق أخوه لعمر ابيك الا الفرقدان [٤٥]

أي ان كل اخ لابد له من ان يفارق أخيه مهما طال العمر أو قصر فلا بد من الفراق الحتمي بين الاخوة الا الفرقدان وهما نجمان في السماء فانهما لا يفترقان الا بأمر الله سبحانه وتعالى وهذه صور عقلية ذات حكمة رائعة.

زاد الاديب لسان الدين ابن الخطيب في التعبير عن الصورة العقلية بكل حكمة وورع عندما مدح الشيخ الفقيه أبو عبد الله بن حسون بن ابي العلي قائلا:

ماضي العزيمة ميمون نقيبته جار من البر والتقوى على سنن
الى مضاء كنصل السيف يعضده رأي يفرق بين الماء والبن [٤٦]

إذ وضح انه يسير على العزيمة وصاحب إرادة قوية وذا راي وعقل ميمون موفق حيث يسير على البر والتقوى وعلى السنن المسنونة إذا ذهب الى مكان كالسيف وهو ملك محايد لا يتحيز لا وقادر ان يفرق بين الصح والخطأ فقد وضف تلك العبارات توظيف عقلي ذا نغم مليء بموسيقى المعاني الجميلة والهادفة.

وعبر عن الصورة العقلية وهو يداعب الشيخ الفقيه القاضي أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الهرغي الزقندري :

سالتك عبد الله إيضاح مشكل وانت لكشف المعضلات

زقندر قالو معدن فضة فما باله ابداك ندرة عسجد [٤٧]

يوظف العبارات العقلية والاسئلة لطرفة مع الشيخ قائلا له اردت ان اسالك عن توضيح مشكلة وانت للمعضلات بكاشف او راصد زقندر قالو عنه فضة فما هو رأيك بالعسجد وهو معدن الذهب فكان التوظيف العقلي في السؤال واضح.

عبر الكاتب بمهارة ما يمتلك من المفردات الجميلة عن الصورة العقلية حيث نقل إلينا اوصاف بني ماقر قائلا:

"متعدد الديار والأشجار سقيه من نطاق عذبه تختزن بها بركات الامطار فيقع بها امنهم والاجتزاء الى زمن المطر "[٤٨].

أبدع في وصف تلك القرية بأسلوب عذب وفيه من الفطنة الكثير معبرا عن تعد ديار تلك المدينة واشجارها التي تسقى من نطاق عذبه أي من عذب ماء المطر التي تختزنها تلك الأشجار لتظهر الثمار وتزهر الورود ببركات تلك الامطار والاكتفاء من المطر الى الموسم القادم وهذه صورة عقلية رائعة.

لقد فاح عبير كلمات الاديب لسان الدين ابن الخطيب معبرا بكلمات نثرية ذات صور عقلية ومعاني فخرية يمتدح بها احمد بن يوسف حفيد الوالي ابي محمد صالح :

"ابقاك الله مثابة انتفاع ونورا بأعلى يفاع ٬ ومتضعا على علو ارتفاع، ترى الوتر في اشفاع، وتقابل الوهم بطرد من الحقيقة ودفاع، ان حثت على لقاء الاعلام شهرتهم فلك الشهرة "[٤٩].

حيث يسرد إلينا الصورة العقلية ليصف مديحة لهذا الشيخ حيث قال لقد جعلك الله ذو منفعة للناس ونورا وبصيرة لكل شيء مرتفع على الأرض ومتواضع بذلك العلو والتعالي حيث ترى الوتر في اشفاع وتقابل كل وهو بالحقيقة الدامغة إذا التقيت مع من هم معروفين جعلت شهرتهم أكثر وزدتهم شهرة وأوضحت كل ما عليه غشاوة ويخدع ويضر الانسان.

وعبر أيضا لسان الدين ابن الخطيب قائلاً: "وحللت من رباط الشيخ ابي محمد بالحرم الأمين، وظفرت من ود حاقد بالذخر الثمين فيا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين "[٥٠].

وها انا تخلصت من ود حاقد وكاره واكتسبت ذخرا عظيما وهو قربي من الشيخ وهنا يقتبس من القران الكريم معبرا فيا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي أي ليت قومي يرون ما حظيت به من المكانة والرفعة بقربي من هذا الشيخ وهذه كلها صور عقلية ذات معاني سامية عبر بها الاديب عما في داخله اتجاه ذلك الرجل.

سارت سفينة الكلمات لابن الخطيب ليوضح إلينا الصورة العقلية التي اسردها إلينا في وصف فضلاء مدينة ازمور قائلا:

"ولوظائف البر متممين وقاهم الله معرات السنين، وكرك وجوههم يوم تبيض وجوه، وتسود وجوه في يوم العرض والدين "[٥١].

وجاءت الصورة العقلية بمثابة دعاء لهؤلاء الفضلاء حيث انهم لوظائف الخير والبر حافظين واخذ يدعو لهم بان يحفظهم الله من معرات السنين وان يكرم وجوههم ويجعلوا وجوههم بيضاء يوم تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الظالمين يوم القيامة وهذه الادعية دلالة على صور عقلية رائعة.

الخاتمة:

فالصّورة العقليّة بند في تخيل الاديب والمشكّلة إليه في تصويره فهي الوعاء الحاضن للصّورة فبها يلهم المبدع ما اراد من مشاهد واحساس وادراك ذهني فيما حوله ليشكّل إلينا الصّور الفنية الرائعة.

الهوامش:

١- الصورة في الشعر العربي حتى أواخر الفرن الثاني الهجري :٢٨

٢- الصورة الشعرية في الكتابة الفنية :١٢

٣-الصورة الشعرية دراسة اسلوبية في ديوان مفدي زكريا تحت ظلال الزيتون انموذجا :٤٠

٤-الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث :١١٧-١١٨

٥-الأستاذ عبد الرزاق بالغيث : ٩٨

٦-الصورة الشعرية دراسة اسلوبية في ديوان مفدي زكريا، تحت ظلال الزيتون انموذجا :٤١

٧- الصورة الشعرية في ديوان ربيع الدين النامساني :٨٥

٨-خطرة الطيف رحلات في المغرب الاندلس ١٣٤٧-١٣٦٢، لسان الدين ابن الخطيب: ٣١

٩-م.ن: ٣٥

١٠-م.ن:٤٢

١١-م.ن:٤٤

١٢-م.ن: ٤٥

١٣-م.ن: ٤٦

١٤-م.ن: ٥١

١٥-م.ن: ٦٣

١٦-م.ن: ٦٨

١٧-م.ن: ٦٨

١٨-م.ن:٧١

١٩-م.ن: ٧٢

٢٠-م.ن:٧٤

٢١-م.ن: ٧٥

٢٢-م.ن: ٧٦

٢٣-م.ن: ٧٧

٢٤-م.ن:٨٢

٢٥-م.ن: ٨٣

٢٦-م.ن: ٨٤

٢٧-م.ن:٨٥

٢٨-م.ن:٨٥

٢٩-م.ن: ٨٦

٣٠-م.ن: ٨٩

٣١-م.ن: ٩٢

٣٢-م.ن: ٩٣

٣٣-م.ن: ٩٥

٣٤-م.ن: ٩٧

٣٥-م.ن:١٠٣

36-م.ن: ١٠٤

٣٧-م.ن: ١١١

٣٨-م.ن: ١١١

٣٩-م.ن:١١٥

٤٠-م.ن:١١٩

٤١-م.ن: ١٢٢

٤٢-م.ن:١٢٢

٤٣-م.ن: ١٢٢

٤٤-م.ن: ١٢٧

٤٥-م.ن: ١٢٨

٤٦-م.ن: ١٣٠

٤٧-م.ن: ١٣٢

٤٨-م.ن:١٣٨

٤٩-م.ن: ١٣٩

٥٠-م.ن:١٣٩

٥١-م.ن: ١٤٧

المصادر والمراجع:

- القران الكريم

١. الصورة الشعرية :دراسة اسلوبية في ديوان مفدي زكريا تحت ظلال الزيتون انموذجا(جودر، صوراية؛ شنفاوي، سعيدة؛ ثابتي، فريد) مدير البحث.
٢. الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث - بشرى موسى صالح ،قسم: النقد، تاريخ الإنشاء: ١٤ ديسمبر ٢٠١٦
٣. الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري : دراسة في أصولها وتطورها : علي البطل ،مؤلفين آخرين: المناعي، مبروك (عارض)، الناشر: جامعة منوبة - كلية الآداب والفنون والإنسانيات، الدولة: تونس ،التاريخ الميلادي: ١٩٨٦.
٤. الصورة الشعرية في ديوان أبي الربيع عفيف الدين التلمساني: خليل بن دعموش، رقم الطبعة١،بلد النشر- الجزائر، المحقق: عبد السلام ضيف، نوع الوعاء(ماجستير)، دار النشر-جامعة الحاج لخضر- تاريخ النشر٢٠١٠م، المدينة-باتنة
٥. خطرة الطيف في رحلات في المغرب والأندلس (١٣٤٧-١٣٦٢)المؤلف: محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (المتوفى: ٧٧٦هـ)،تح-د. أحمد مختار العبادي.
٦. الصورة الشعرية في تجربة الشاعر عز الدين ميهوبي (دراسة أسلوبية) إعداد الطالب: عبد الرزاق بالغيث -إشراف الأستاذ الدكتور علي ملاحي(رسالة ماجستير).